الأستاذة بقادة فاطمة إكرام

المحاضرة الثالثة : نظريات علم اجتماع المخاطر

أولا : نظرية أولريش بيك

نبذة عن حياته :

ولد أولريش بيك عالم الاجتماع الألماني في 15 ماي 1944 في بلدة سوويسك ببولندا ، ثم انتقل مع أسرته إلى مدينة هانوفر الألمانية بعد الحرب العالمية الثانية حيث نشأ، و في 01 جانفي سنة 2015 عن عمر ناهز 70 سنة إثر أزمة قلبية ، درس عدة علوم منها : علم النفس ، الفلسفة ، العلوم السياسية و علم الاجتماع الذي تخصص فيه .

من أعماله :

ـ مجتمع المخاطرة ، سنة 1986.

ـ ما هي العولمة ؟ سنة 1999.

ـ السلطة و السلطة المضادة في عصر العولمة، سنة 2002.

ـ مجتمع المخاطر العالمي بحثا عن الأمان المفقود، سنة 2006.

جاء أول بحث سوسيولوجي حول هذه الإشكالية و مؤسسا لهذا التخصص ، ذلك العمل الذي جاء في كتاب الباحث و الكاتب الألماني " **أولريش بيك** " الذي صدر بألمانيا سنة 1986 تحت عنوان " مجتمع المخاطرة "[1] ، مشيرا إلى أن مجتمعات النصف الثاني من القرن العشرين باتت مرغمة على مواجهة سلبيات الحداثة و إيجاد الحلول و البدائل المناسبة لمجابهة تحدياتها و إدارتها، و هو ما

1- Ulrich Beck **, La société du risque, sur la voie d'une autre modernité**, Edition Flammarion,Paris, 2008.

أسماه بـ " **عقد المخاطرة** " و في مدى القدرة على التحكم في التهديدات والأخطار الناجمة عن الصناعة و القدرة على تعويضها .. غير أنه في كتابه الآخر الذي كتبه بعد عشرون سنة من ذلك ، و هو كتاب – **مجتمع المخاطر العالمي : بحثا عن الأمان المفقود عام 2006** ، قد فرّق **فيه بين مجتمع المخاطرة ومجتمع المخاطر العالمي** ".[1]

فالمجتمع العالمي تنتشر فيه المخاطر و الأخطار في مختلف الأقطار أو كما سمّاها – المخاطر الطيارة – ، أي التي تطير من مكان إلى مكان آخر دون أن نقدر على مسكها و إخضاعها أو التحكم فيها و هذا ما أكده " **أولريش بيك** " حين قال أنه " في بداية القرن 21 نرى المجتمع الحديث بعيون أخرى بفعل النظرة المستمدة ممّا هو غير متوقع و المنبثق عنها في مجتمع مخاطرة عالمي غير محدد، و لكن أصبح القلق بشأن الكل مهمة الجميع ، إذ لم يعد ممكنا التفكير في المجتمع " ، و بذلك فالذي يميز المخاطرة العالمية ؟ أنها تتميز بعدم التمركز ولا تقتصر آثارها و أسبابها على مكان أو نطاق جغرافي محدد ، و لا يمكن حساب نتائجها ، و غير قابلة للتعويض ، إذا يفقد منطق التعويض مفعوله ويحل محله الحماية عن طريق الوقاية ."[2]

فمجتمع المخاطر العالمي هو المجتمع العالمي الذي اشترك في احتضان المخاطر و الأخطار ، بعدما كانت المخاطر و الأخطار لا تتعدى حدود الدولة القومية ها هي اليوم في عصر العولمة قد تخطت الحدود القومية لتتدفق في مختلف الاتجاهات و مثال ذلك الجماعات الإرهابية المصنعة .

---

1 ـ أولريش بيك، **مجتمع المخاطر العالمي: بحثا عن الأمان المفقود** ، المركز القومي للترجمة، المشروع القومي للترجمة، المركز الثقافي الألماني ، القاهرة.

2 – Ulrich Beck, Op.cit, p.33

كما يتمتع " الخطر بنفس القوة المدمرة للحرب ، فيصبح الأفراد أعضاء في جماعة مخاطر عالمية ، و هذه المخاطر لم تعد محصورة داخل دولة معينة حيث أن أية دولة لا يمكنها أن تحارب الأخطار وحدها ، كما أن العلم لا يقلل بالضرورة من حجم المخاطرة بل يزيد حدة الوعي بها ، و يجعل المخاطر تبدو واضحة للعيان بشكل جماعي و منظم."[1]

وأمّا " **مجتمع المخاطر** " مفهوم صاغه أساسا و هو يتحدث عن الخطر باعتباره السمة الرئيسية للمجتمع الإنساني المعاصر ، بعد اختفاء الأمن النسبي و مصادر الخطر متعددة في الواقع ، و لعل أبرزها على الإطلاق التلوث الذري ، و يمكن أن يكون نموذجا بارزا له إنفجار مفاعل " تشيرنوبيل " في أوكرانيا في الإتحاد السوفياتي سابقا عام 1986 مثالا صارخا على ذلك ، و الذي أثار الرعب في العالم كله ، بحكم انتشار مفاعلات ذرية شبيهة في عديد من البلاد .[2]

و مع تفاقم المخاطر و الأخطار مقابل الفرص فإن مجتمع المخاطرة بات يعيش حالة من عدم الأمان و أيضا الشك و فقدان اليقين بخصوص إمكانيته ومقدرته على مواجهة تلك المخاطر (risks) و الأخطار (dangers) و التحكم فيها مكانيا و زمنيا ، و لهذا يتفق علماء المخاطرة على أن عالمنا اليوم يعيش حالة من فقدان اليقين العالمي.

1- إبراهيم غرايبة، **الأرض مستقبل كوكب** ،الخميس 06 مارس 2014 ، المجلة تأسست في لندن عام 1980،مجلة العرب الدولية ، مطبوعات الشركة السعودية للأبحاث و النشر ،الرياض/www.majalla.com/arb/2014/article5525024.

2 - السيد ياسين ، **مجتمع الخطر ودورة الخوف** ، http://www.mokarabat.com/m735.htm .

كما يفرق " **بيك** " بين المخاطرة و الكارثة ، **فالمخاطرة** حسبه تعني التنبؤ بالكارثة أي هي إمكانية أن تطرأ أحداث و تطورات مستقبلية و إذا ما تحققت تصبح إذن كارثة. ، **فالمخاطرة حدث متنبأ بحدوثه أما الكارثة فهي حدث فعلي.**

و إذا عدنا إلى الحديث عن مجتمع المخاطر العالمي تطرح أسئلة عديدة : أليست المخاطر قديمة قدم البشرية ؟ ألم تكن المجتمعات في الماضي و الحاضر مجتمعات مخاطرة ؟ ألا تبدو المخاطر العالمية أقل تهديدا من مخاطر ألفها العالم أو تجاوزها مثل حوادث المرور و الأوبئة و المجاعات ، أليست المخاطر قوة دفع أساسية لاكتشاف عوالم و أسواق جديدة ؟ .

يقول " **أولريش بيك** " مجيبا : إنه من الممكن توضيح و تفسير المخاطرة في أربع نقاط : من الذي يقرر خطورة أو عدم خطورة المنتجات و الأخطار والمخاطر و من المسؤول و من المتضرر ؟ و ما نوع المعرفة أو عدم المعرفة بالأسباب و الأبعاد المرتبطة بالمخاطر ؟ و ما الذي يعد بمثابة إثبات في عالم تذوب بداخله المعرفة و عدم المعرفة بالمخاطر ، و كل المعارف تعد محلا للشك و الاحتمال ؟ و من الذي يقرر تعويض المتضررين داخل دولة أو أكثر من دولة.[1]

و لا يحاول " **أولريش بيك** " حصر المخاطر الممكنة للمجتمع العالمي نمطيا و تحديد أماكنها ، و لكنه يتوسع في نظرية المخاطرة من خلال منظور العولمة و إجراء عمليات سيناريو و تصوير و إخراج لهذه المخاطر ، و المقارنة المنطقية للمخاطرة و بخاصة المخاطر الإيكولوجية و الاقتصادية و الإرهاب.

---

1 -- أولريش بيك ، **مجتمع المخاطر العالمي ، بحثا عن الأمان المفقود** ، تر : علا عادل و هند إبراهيم وبسنت حسن ، ط1 ، المركز القومي للترجمة ، 2013 ، ص.124.

و بذلك ينطلق "**أولريش بيك**" في نظريته عن المخاطرة من ثلاث منظورات وهي:

- **العولمة** : حيث عملت على عولمة المخاطر و الأخطار و تجسيد اللحظة "**الكوزموبوليتانية اللاقومية**" مع تراجع الدولة القومية ، فبات ضروريا أن يتم فهم المخاطر في سياق عالمي و هو ما يسميه ب "**الكوزموبوليتانية المنهجية**" ، بعدما كانت تفهم في سياق قومي داخلي " **القومية المنهجية** " .

- **التصوير و الإخراج** : و هو يعني أن المخاطرة و التي هي أمر كارثي متوقع و متنبأ به يتم إخراجه و تصويره بوصفه " توقعا ذَا مصداقية " ما يكسبه الصفة "الحقيقية" فيشكل صورة نمطية ذهنية في عقول الناس بأن الكارثة حاضرة بينهم ، أي أن مستقبل الكارثة حاضرا ، الأمر الذي يهدف غالبا إلى منعها و تفاديها . والتصوير السينمائي للمخاطرة لا يعني تزوير الحقيقة من خلال تزوير مخاطر غير حقيقية و إنما هو عرض سياسي- إعلامي للجمهور و للعالم حتى يدركوا مستقبل المخاطرة و منه يتم تفادي الوقوع في الكارثة من خلال التأثير على القرارات الحالية ، و حسن إدارة الوضع و التحكم فيه.

- **المقارنة بين المخاطر البيئية و الاقتصادية و الإرهابية** : بحيث أن بيك انطلق في تحليله من ثلاث منطقيات للمخاطر الكونية و هي : مخاطر بيئية – مخاطر اقتصادية مالية – مخاطر الإرهاب ، فاعتبر أن المخاطر البيئية والاقتصادية تأتي صدفة أي عن حسن نية ، أمّا مخاطر الإرهاب فهي مقصودة أي عن سوء نية.

و يربط " **بيك** " كل هذه المخاطر بثقافة المجتمع الناشئة فيه وفق ما أسماه بـ " الإدراك الثقافي للمخاطرة " و هو أن كل مجتمع له تقييمه الخاص لمستوى المخاطرة و درجتها ، و كلما قلت إمكانية تقدير الخطر إكتسب الإدراك الثقافي المتنوع للمخاطرة ثقلا أكبر.

غيـر أن نظريــة " أولـريش بيـك " واجهـت بعـض الانتقـادات حيـث يـرى الـبعض أن تناولـه لموضـوع مجتمـع المخـاطر تمـت بطريقـة السـرد التـاريخي ، و قـد يرجـع هـذا كـون " مجتمـع المخـاطر " موضـوع جديـد عكـس النظريـات الكلاسـيكية التـي ليسـت لهـا القدرة في فهم التصورات الاجتماعية المعاصرة.

كمـا أن دراسـته حـول المخـاطر ـ و خاصـة البيئيـة منهـا ـ اتصـفت بالواقعيـة الشديدة حيث فشل في التحليل الاجتماعي للخطر في إطار البناء الاجتماعي.

و لكـن لا نسـتطيع إنكـار أن " أولـريش بيـك " جـاء بأفكـار جديـدة و فريـدة مـن نوعها حيث قام بالتفكير في المجتمع من جديد رغم الانتقادات الموجهة له.